



التاريخ الاجتماعي لإقليم وادي ريغ من خلال كتب الرحالة

The social history of Oued Righ: review in the writing of the nomads

لغريبي نسيم

Nassima Lagheribi

جامعة باتنة 1 (الجزائر)

الهندسة العمرانية والعمران والنقل الحضري

Nassima.prof8@gmail.com

المرسل: لغريبي نسيم

النشر: 2022/04/16

القبول: 22/03/04

الارسال: 22/03/01

الملخص:

تتمحور الورقة البحثية حول العلاقة بين ظاهرتين تاريخيتين وهما الترحال والاستقرار، وكيف ساهما في تشكيل مجال ومجتمع وادي ريغ عبر عصور تاريخية طويلة. وناقشنا فترات الاحتلال الفرنسي للمنطقة وما جاورها إذ كانت حلقة من حلقات هذا التوسع الاستعماري، لا سيما أن هذه المنطقة كانت تحتل مكانة هامة، وذات نفوذ كبير عبر التاريخ، ويندرج اهتمام الفرنسيين بهذه المنطقة ضمن اهتمامهم العام بالجنوب الجزائري والصحراء. إذ يمثل إقليم وادي ريغ المجال الطبيعي والبشري الذي ارتبطت به حضارة، جزء مهم من سكان جنوب الجزائر، وقد وردت الكثير من الإشارات في كتب الرحالة والمصادر قديما وحديثا إلى المنطقة، والتي تعتبر مادة خصبة للعديد من الدراسات.

الكلمات الدالة: وادي ريغ، قصور وادي ريغ، الغزو الفرنسي.

Abstract

The research paper focuses on the relationship between two historical phenomena, namely migration and stability, and how they contributed to the formation of the area and society of Oued Righ through long historical eras. We discussed the periods of the French occupation of the region and its surroundings, as it was one of the episodes of this colonial expansion, especially since this region was occupied An important position, with great influence throughout history, and the interest of the French in this region falls within their general interest in the Algerian south and the Sahara.

The region of Oued Righ represents the natural and human domain with which a civilization has been associated, an important part of the population of southern Algeria, and many references have been made in the books of nomads and sources, ancient and modern, to the region, which is a fertile material for many studies.

Keywords: Oued Righ, Oued Righ's palaces, the French invasion.

مقدمة:

الترحال ظاهرة عالمية قديمة قدم المجتمعات الإنسانية، حيث تعود أول آثار مجتمع رعوي ترحال بدوي في الفترة من 8500 إلى 6500 قبل الميلاد، في منطقة جنوب بلاد الشام، خلال فترة ما يعرف بالجفاف المتزايد، حيث تم استبدال ثقافات "ما قبل الفخار النيوليتي" في سيناء بثقافة "بدوية ترحالية رعوية" تستخدم الفخار، والتي يبدو أنها كانت اندماجا ثقافيا بين شعب الميزوليتي الواصل حديثا من مصر (الثقافة الهريفية)¹، والتي اعتمد أسلوب حياة الصيد البدوي في تربية المواشي، وقد تطور نمط الحياة هذا بسرعة إلى ما أسماه جاريث يورينز المجمع التقني الرعوي المحيط بالعرب، وربما يرتبط بظهور اللغات السامية في منطقة الشرق الأدنى القديم، كان الانتشار السريع لمثل هذا الرعي البدوي نموذجيا للتطورات اللاحقة مثل ثقافة اليمانيا لبدو الخيول والماشية في السهوب الأوراسية، أو انتشار المغول في العصور الوسطى المتأخرة، أو لظهور الطوارق الرحالة في جنوب الجزائر الذي عرفو بعدها بتجارة الجمال في شمال افريقيا، والذي استوطنوا جنوب الجزائر على مستوى عدة مناطق زراعية، خاصة منطقة وادي ريغ كونها تحتوى على مختلغ مقومات الحياة الأساية التي سمحت لهم بالاستقرار بها.

اعتبرت منطقة وادي ريغ عبر مر العصور والحضارات واحدة من أهم المناطق بالجزائر للعديد من الأسباب الجيوسياسية، حيث أن المنطقة تقع في منخفض مستطيل الشكل، يبتدئ من رأس الوادي بأعالي مدينة المغير وبالضبط بقرية عين الصفراء بلدية أم الطيور ولاية الوادي الجزائرية عند شط ملغيغ شمالا، ويمتد في شكل مستطيل على نحو 160 كلم جنوبا إلى غاية قرية قوق التابعة لبلدية بلدة عمر التي يوجد بها ضريح الولي الصالح سيدي بوحنية، وهذا الربط جعلها بؤرة التقاء لولايتين مهمتين في الجنوب الجزائري، كما أنهما تعتبر مصدر لثروات الزراعية كون الواحات المتواجدة بها تنتج العديد من الخيرات الطبيعية سنويا، خاصة و أن أصحاب المنطقة بها يعتمد أغلبهم على الزراعة كمدخول أساسي لهم، ونمط الحياة استمر عبر أجيال عديدة تعود الى الحضارة الأمازغية، وقد حاول العديد من المستعمرين السيطرة على المنطقة كونها تعتبر مركز ربط في المنطقة، وأنها أحد المفاتيح الأساسية للسيطرة على شرق وجنوب الجزائر.²

فرنسا كغيرها من المستعمرين التي مرت بالجزائر حاولت السيطرة على أهم المناطق جغرافيا و سياسيا، وقد اتجهت فرنسا إلى سياسة التوسع عبر الأقاليم الجزائرية، من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق نحو الغرب، و إقليم وادي ريغ من المناطق الخالدة في سجل الثورة التحريرية، فقد كان تاريخ المنطقة حافلا بالأحداث و التفاعلات لرجال صنعوا المجد ورسوموا معالم النضال، حيث بدأ باحتلال تقرت في 05 ديسمبر 1854، بواسطة القائد الفرنسي "ديفو" الذي فرض جملة من العوامل السياسية والاقتصادية التي أدت الى على تحول في المنطقة، فقد أضعفت الحكومة الاستعمارية التنظيم التقليدي من خلال تقسيم الأراضي القبلية (القوس) إلى مجتمعات قروية تحت التوجيه الفرنسي (دوار) وإدخال حقوق الملكية الفردية من خلال التشريعات الزراعية الجديدة، وقد شجعت هذه الإجراءات التفكك الاجتماعي وما تلاه من توطين السكان الرحل، أدت الأزمات الرعوية الشديدة في القرن العشرين إلى تعميق التفاوتات في الممتلكات، فمن ناحية نجح

عدد كبير من الرعاة وملوك الأراضي والتجار في زيادة قطعانهم. ومن ناحية أخرى، فإن معظم البدو أصبحوا محرومين وفاعلين في سداد الديون، على الرغم من أن الحكومات الاستعمارية حفزت تربية الأغنام، فقد انخفض الإنتاج لأسباب مختلفة. بينما تناقصت تربية الإبل، ازداد عدد البغال والحمير والماعز، خاصة بين السكان الرحل الفقراء.

تزايد الأمن في النصف الثاني من البدو الرحل في القرن التاسع عشر للقيام بالهجرة الصيفية إلى تل أطلس (العشابة)، ومع ذلك سرعان ما حدث القرى والبلدات الناشئة من إمكانيات الرعي، قاموا بعدها بتكييف أنفسهم مع هذا الوضع من خلال العمل في العقارات الفرنسية، وكان هذا يمثل أهم مصدر للدخل حتى نهاية الحقبة الاستعمارية، لقد أجبر تراجع حركة المرور القوافل الرحل على البحث عن موارد ثانوية، ففي حين أن العديد من الرواد انتقلوا إلى زراعة الحبوب، فإن سكان الصحراء استحوذوا على فوائضهم من الرعي في شراء النخيل. اعتمدت قبائل مختلفة على جمع ونقل المنتجات الطبيعية، وخاصة في حصاد عشبة الحلفاء للشركات الفرنسية³

1. تقرت في كتب الرحالة:

تعتبر منطقة وادي ريغ خاصة مركزها مدينة تقرت، معبرا أساسيا في طريق الصحراء، وقد حظيت مدينة تقرت بزيارة عدد من الرحالة، و مكثوا فيها أياما وليالي تمكنوا فيها سبر أغوارها و أحوالها الطبيعية و الاجتماعية و العلمية ،فسجلوا ملاحظاتهم عنها وعن أهلها و مشاهداتهم فيها .وستتطرق بإيجاز لاهم الرحالة الذين مروا بها وتحديثا عنها .

- العياشي :وهو من ابرز الرحالة الذين زاروا تقرت وتحديثا عنها بإسهاب ،هذا الرحالة المغربي قال في كتابه "ماء الموائد" حين زارها لعام 1687 (نزلت بتقرت وهي قاعدة وادي ريغ ومسكن أمراءها أولاد جلاب و اول من لقينا بعد النزول من طلبتها سيدي محمد بن عبد الكريم التواتي ولد عالم توات عبد الكريم المغيلي ..وهو رجل دمث الأخلاق ،طيب الأعراق ،قد شد طرفا من الفقه و النحو وله بعض الخبرة بعلم العروض وقد أجزل لنا الضيافة جهده و اخرق إجماع متفقهة البلد سواه ،و خلاصة أن الرحالة العياشي قد رأى في مدينة تقرت في ذلك الزمان أنها تزخر بالمتعلمين ويهتمون اهتماما بالغا بالعلم و العلماء،وفقهاؤها مولعين باقتناء الكتب و قراءتها ،وان أمراؤها عادلون وسيرتهم حسنة متلاحمون مع الرعية يسهرون على نشر الأمن ،وأثنى على أهل تقرت كونهم ذوي نيات صالحة وأخلاق حسنة .

- حسن الوزان : والمعروف بليون الإفريقي ،الذي زار تقرت عام 1520 في كتابه وصف إفريقيا يقول عن تقرت (تقرت مدينة قديمة بناها النوميديون على جبل في شكل نتوء يمر في سفحها يقطعها جسر متحرك ،كما يوجد في ذلك أبواب المدن ،وهي مسورة بسور من الطوب و الطين ماعدا من جهة الجبل تحميها ،وتقع هذه المدينة على بعد نحو خمسمائة ميل جنوب البحر المتوسط ،وثلاثمائة ميل من تيكورارين

وفي وصفه للحالة الاقتصادية و الاجتماعية التي كانت عليها المدينة في ذلك الوقت حيث كانت تضم جمعا من الأغنياء الذين يملكون غابات النخيل ،و النبلاء الذين ينتمون للأسرة الحاكمة ومساعدوهم من شيوخ العشائر و الجند الضيافة للغرباء الوافدين عليهم ،ومن خلال نصه أنها كانت ساسيا تابعة في الأمر لبني مرين بفاس ثم خضعت إلى ملوك بني زيان بتلمسان ثم تحولت إلى حكم بني حفص بتونس ،ما يوافق ما قرره ابن

خلدون في تاريخه على أن تقرت كانت تخضع للدولة الغالبة من الدول المتصارعة ،وعرفنا منه أنها في وقت رحلته تابعة لباي تونس اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا .

- هاينريش فون مالتسان :و قام بالرحلة الألماني مالتسان إلى تقرت عام 1862 بعد ثماني سنوات من دخول فرنسا إلى تقرت ،وقد تحدث عن الوضع الاجتماعي و الاقتصادي للمدينة ،ومن كتاباته شكك في كتابات الفرنسيين عن المدينة، إذ وجدها مدينة صغيرة تحتوي على حوالي مائة بيت مبنية بالطوب .
ومن خلال الرحلة يعرفنا أن تقرت القديمة كانت تقع وسط غابات النخيل بواحة النزلة كما ان رحلته توضح مدى كره أهل تقرت للنصارى ورفضهم للتواجد الاستعماري واحتلالهم لبلادهم ،

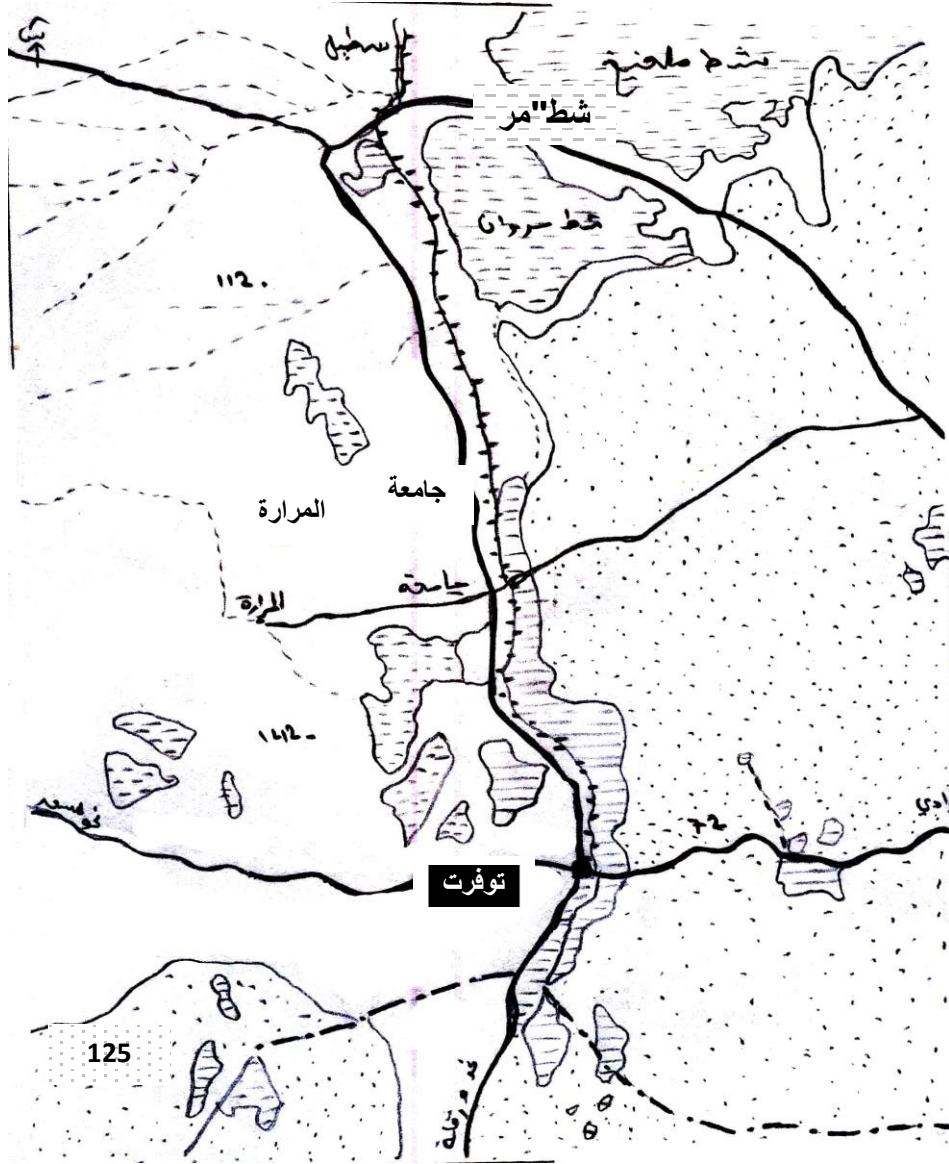
وحدد التركيبة البشرية لسكان تقرت ،فقسمهم إلى أربعة أجناس :⁴

- أهل وادي ريغ ويقصد بهم السكان المستقرين أهل المدر
- العرب ويقصد بهم البدو الرحل أهل الوبر .
- المزابيون وهم أصحاب تجارة التفصيل .
- اليهود الذين يسيطرون على تجارة الجملة خصوصا بعد دخول الاستعمار إلى أرض تقرت .

2. طبيعة الإقليم وجغرافيته (وادي ريغ)

إن موقع منطقة وادي ريغ أهلها لأن تكون محطة هامة كما جاء في أقوال المؤرخين و الجغرافيين القدماء مثل ابن سعيد الذي يقول (... و في شرقها بلاد ريغ طولها نحو خمسة أيام وهي بلاد نخل و محمضات ومياه تنبع على وجه الأرض فيصعد الماء كالسهم إلى أمد طويل و يسيل في المزارع)
و ابن خلدون في حديثه عن استقرار قبيلة ريغة و في الأسباب التي دفعتهم إلى اللجوء و الاحتماء بهذه المنطقة (و أما بنو ريغة فكانوا أحياء متعددة و نزل أيضا الكثير منهم ما بين قصور الزاب ووركلا (ورقلة حاليا)، فاخبطوا قرى كثيرة في عدوة واد ينحدر من الغرب إلى الشرق ... يشتمل على المصر الكبير و القرية المتوسطة و كثر في قصورها العمران من ريغة هؤلاء من بني سنجاس و بني يفرن و غيرهم من قبائل زناتة....⁵

ويقع إقليم وادي ريغ في الشمال الشرقي من الصحراء الجزائرية في منخفض مستطيل الشكل، طوله حوالي 160 كلم، و يتراوح عرضه بين 30 و 40 كلم.يبتدئ شمالا من (عين الصفراء) قرب بلدة أم الطيور ، و ينتهي جنوبا بقرية قوق*، و قد سماه ياقوت الحموي في معجم البلدان الزاب الصغير، أو ريغ، و سماه ابن خلدون في تاريخه بلاد ريغ أو أرض ريغ ، و هو الاسم الذي عرف به عبر تاريخه، و منذ نشأته.



الخارطة رقم (1) تبين تجمعات إقليم وادي ريغ

أما في الوقت الحاضر فيعرف بوادي ريغ كواادي سوف و وادي ميزاب ووصفه ابن خلدون و حدد موقعه العمراني و جنس سكانه فيقول « ريغة و سنجاس من بطون مغراوه ، قد اختطوا قرى كثيرة في عدوة واد ينحدر من الغرب إلى الشرق، ويشمل على المصر الكبير و القرية المتوسطة و الأطم، و قد رف عليها الشجر و تضدت حوافها النخيل و أنساحة خلالها المياه و زهت بينايبعها الصحراء و كثر في قصورها العمران من ريغة هؤلاء و بهم تعرف لهذا العهد» ومن هذا القول نتعرف على السكان الأصليين الذين عمروا الإقليم و هو الوادي الجوفي الذي ينساب تحت الأرض، و هو مصدر الينابيع و العيون التي تتدفق إلى سطح الأرض، و تروي غابات و بساتين النخيل.

أما الوادي الحالي الذي يسيل في القناة التي تنحدر من بلدة عمر و تصب في شط مروان التي تعرف باسم السفالة ووادي خروف فهو حديث العهد و النشأة تكون بعد عمارة الإقليم من جديد عندما كثرت مياه السقي التي تسقي بساتين النخيل المنتشرة على طول الإقليم.⁶

و تتنوع أرض وادي ريغ من منطقة إلى أخرى، حيث تتبدل الأرض و تتنوع تربتها، ونباتاتها، و طبيعة تضاريسها، فمنطقة المغير مثلا تتميز بتربتها الغضارية و سهولها و بكثرة أوديتها الكاذبة التي تسيل في الأيام الماطرة فتخصب تربتها كما تتميز بغطائها النباتي الكثيف الذي يصلح للرعي و بعض الهضاب التي تفصل بين منطقتي المغير و جامعة، بينما تتميز منطقة جامعة بسهولها المستوية و سبخها الواسعة أما منطقة توقرت و ضواحيها فتميزها الكثبان الرملية المحيطة بها شرقا و غربا تتوسطها سهول مالحة و بعض الهضاب الطينية الجرداء. و يتميز إقليم وادي ريغ كبقية الأقاليم الصحراوية بالمناخ القاري الجاف، فهو بارد في فصل الشتاء و حار في فصل الصيف و ينتابه شيء من ثقل الجو الذي يؤثر على النشاط و الحيوية خصوصا في بداية فصل الصيف و ربما هذا أيام كان يسكن الناس في المنخفضات المالحة و يشربون الماء الأجاج، و قد تفتن الأهالي في العهد الأخير فصاروا يبنون دورهم و مساكنهم بعيدا عن السياح و قد استبدلت المياه العذبة بالمالحة نتيجة اكتشاف الآبار الآلية العميقة و فضلا عن الحرارة الشديدة التي تبلغ في المتوسط صيفا 40 °م نهارا و 30 °م ليلا. فإن الإقليم يتعرض أيضا لرياح وزوايع رملية شديدة تكثر في فصلي الربيع والخريف اللذين يعتبرهما السكان فصلي الرياح والزوايع الرملية.⁷

إن الإقليم لا يستفيد كثيرا من مياه الأمطار الساقطة لأنها غالبا ما تضيع في الرمال أو في شقوق الأرض أو تصب في بحيرة ملغغ ومع هذا فالفلاح بهذه الطريقة لا يحتاج إلى سقوطها كثيرا كشأن الأقاليم الأخرى لأن نوع الإنتاج الذي يعمل من أجله لا يتحمل الرطوبة كثيرا، خاصة في فصل الخريف موسم جمع الغلة. ومع هذا فإن الأمطار تسقط بصفة غير منتظمة وكميات قليلة نسبيا إذ لا يتعدى سقوطها على المعتاد أكثر من 25 يوما بنواحي توقرت و 30 يوما بنواحي المغير و ينحصر سقوطها بين شهري نوفمبر و فيفري وبالرغم من قلة السقوط فإنها تحدث بعض المرات فيضانات واضطرابات غير متوقع تأتي على الأخضر واليابس وتتلغ واحات من النخيل بمحاصيلها.

3. المراحل التاريخية لمنطقة وادي ريغ :

1.3 مرحلة ما قبل الإسلام :

تفتقر المصادر التاريخية عن معلومات حول تاريخ المنطقة قبل ظهور الإسلام بها ، ولهذا ربطت جميع الأحداث التاريخية للمنطقة بالمناطق المجاورة كأقاليم الزيبان ورجلان ووادي سوف، ونستنتج من هذا أن الإقليم كان امتداد للطريق الروماني التجاري الذي يربط التل الجزائري ببلدان جنوب الصحراء و قابس، حيث تمر القوافل التجارية المحروسة بالجيوش الرومانية التي هيمنت على كامل الشمال الإفريقي بعد سقوط الدولة النوميدية .

إن الاستعمار الروماني أنشأ شبكة أبراج وحصون على امتداد الطرق التجارية وهي طرق تنقل الوحدات العسكرية التي تجوب المناطق للمراقبة وأهم هذه المعالم من الحصون والأبراج التي تتواجد عبر إقليم وادي ريغ نذكر برج مليلي، وهدف الرومان من هذه الأبراج والمعابر هي نقل الأهالي من مستوطناتهم إلى ما وراء

سفوح الأطلس الصحراوي وإبعادهم عن مواطن العمران وإجبار قسم كبير منهم على الاعتماد على حياة الحل والترحال بين سفوح الجبال والصحراء ومن جراء هذه الحياة الغير مستقرة اضطر بعضهم إلى توطن الإقليم الصحراوي واختاروا حياة البادية بعيد عن أعين الرومان ومن هؤلاء البدو الذين استقروا بوادي ريغ منهم بنوريغة، سنجاس وهم من بطون قبيلة زناتة ونظرا لطبيعة حياتهم الغير مستقرة لم تظهر لهم معالم عمرانية التي تدل على طبيعة حياتهم الحضارية وهذا يدل على أن الإقليم لم يأخذ طابعه العمراني إلا بعد دخول الإسلام، حيث أكد ابن خلدون على ذلك بقوله: "كثُر في قصورها العمران من ريغة هؤلاء" وبهم تعرف إلى هذا العهد وهو القرن ثامن الهجري يكمل بقوله: "أن ريغة هم أكثر الأجناس وبني سنجاس وبني يغرن وغيرهم من قبائل زناتة الذين تفرقت جماعهم للتنازع على الرئاسة".

2.3 الإسلام بوادي ريغ:

دخل الإسلام إلى الجزائر ثم إلى المغرب الأقصى عن طريق الزيبان ومنها انتقل إلى وادي ريغ التي تعد امتداد الإقليم الزيباني فاعتنق السكان العقيدة الإسلامية في ظل الظروف القاسية التي فرضها البزنطيون والرومان.

وتقول بعض الروايات أن الإسلام دخل إلى الناحية على منطقة المغير ومن هناك انتشر بكامل المنطقة بواسطة سكان المغير والقاطنين بضواحيها. وقد مر الإقليم خلال هذه المرحلة بعدة فترات منها:

- فترة حكم بنورستم:

بعد تأسيس الإمارة الأغلبية التابعة للخلافة العباسية تأسست بجانبه الدولة الرستمية المستقلة عن بني عباس عام 160 هـ وذلك على يد عبد الرحمن بن رستم، ودخلت منطقة وادي ريغ وورقلة ووادي سوف و منطقة الزيبان تحت حكم هذه الدولة التي عم سلطانها جميع التراب الجزائري ما عدا ناحية الشرق التي استمرت تحت سلطة الدولة الأغلبية بتونس و منطقة تلمسان في الغرب التي ظلت خاضعة لدولة الأدارسة بالمغرب.

وفي ظل هذه الدولة عاش الإقليم في أوج تطوره وقد تمتع بالأمن كبقية المناطق التابعة للدولة الرستمية برئاسة أئمتها الذين اهتموا بنشر العدالة و الأمن بين الناس، هذه الأوضاع فتحت المجال أمام نشر تعاليم الدين و بناء القرى و القصور و تطوير الفلاحة.

و عاشت هذه المنطقة فترة من الازدهار إلى غاية تاريخ سقوط تهرت عاصمة الدولة الرستمية على أيدي العبيديين، فانتقل يعقوب بن أفلح و أتباعه إلى ورجلان فرار من العبيديين و فتكهم، أين وجدوا الحماية بهذه المواطن، فاختر بعضهم الاستقرار بوادي ريغ و عزموا على تعويض ما فاتهم فأقاموا نظامهم الاجتماعي الذي جاءوا به والقائم على الاحتكاك و التفاعل.

- انتشار المذهب الإباضي (حكم الدولة الجلابية):

وفي بداية القرن العاشر وعند تأسيس العاصمة الثانية للدولة الرستمية بسدراتة قرب ورقلة إثر سقوط عاصمتهم الأولى بتهرت انتشر المذهب الإباضي في ربوع تقرت وما جاورها ودخلت في حكم بني عبيد الله.

و في القرن الرابع عشر الميلادي حل رجل بمنطقة وادي ريغ بعد أدائه لفريضة الحج و هو الشريف محمد بن يحي الإدريسي، فأعجب بمنطقة تقرت و سكانها فاستقر بها و كان رجل صالح و تقوى قام بنشر المذهب المالكي بين الناس و حل النزاعات و إحلال الأمن في وادي ريغ و تعددت الروايات في عدد أفراد بني جلاب الذين حكموا وادي ريغ انطلاقا من عاصمة (تقرت) من 1414 إلى 1854 و من هذه الروايات أن المؤسس الأول هو الحاج سليمان بن رجب الجلابي الذي حكم من 1414 إلى 1431م، و يقال أنه من المقربين إلى سيدي محمد بن يحي و كان صاحب مال منح جزء منه للسكان لفك ضائقتهم في سنوات الشدة ليأتي بعده علي بن سليمان و أحمد بن علي و عمر بن أحمد و سليمان بن أمحمد، و أحمد بن سليمان إلى غاية حكم سليمان بن علي الكبير (1853 – 1854) حيث سقطت تقرت في عهده بيد الاستعمار الفرنسي و انتهى بذلك حكم بني جلاب و المؤسس الأول لحكم الدولة الجلابية الذي عمل على إخماد التوترات في مختلف ربوع المنطقة و جعل من منطقة وادي ريغ تحت حكمه لتعيد إلى أبنائه و أحفاده و من أهم أعماله إخماد حرب كانت قائمة بين تقرت و تماسين حيث فض هذا النزاع و قام ببناء قصر في كلتا المدينتين، كما قام سليمان بن علي الجلابي بتأسيس مجلس استشاري ليكون من أهم أعماله أيضا و ضعه مخطط يهدف لنشر السلم و النظام من منطقة وادي ريغ⁸.

العمران في عهد بني جلاب: وما يلاحظ على العمران في عهد بني جلاب أنه يحمل مواصفات الطابع المشرقي " أقواس، قباب، نوع الأعمدة، و الدور المحافظة الغير مكشوفة للخارج، و إذا وجهت النوافذ إلى الشارع فهي لا تتعدو أن تكون كوات ترتفع عن الأرض بما يتجاوز طول الإنسان واقف و الهدف منها إدخال النور و الهواء إلى البيوت".

كما راعت العمارة في عهد بني جلاب الظروف الطبيعية للمنطقة خاصة المناخ الشديد الحرارة صيفا و البرودة القارسة شتاء مع حركة الرياح جعلهم يبقون على الساحات المسقفة و الدروب الضيقة و الملتوية و الاعتماد في البناء على المواد المحلية، و لقد أخذت الاحتياطات الأمنية في العمارة لجعل اقتحام المدينة صعب على العداء و ذلك بإقامة سور المدينة " تقرت " و حفر خندق من حوله و غلق أبواب المدينة ليلا و وضع باب خاص للنجدة.

و من القصور في عهد بني جلاب قصر مستاوة و هو مركز و نواة مدينة تقرت و شكله يشبه قرصا يتوسطه المسجد في وسط ساحة " الرحبة " و شوارعه الرئيسية تشبه حلقات و تقطع هذه دروبا و شوارع ثانوية تربط بين مركز القصر و أطرافه و في الجنوب الشرقي للقصر يوجد مقر السلطان، و يحيط بالقصر سور من الطين حول هذا الأخير خندق عمقه من 3 إلى 4 متر و عرضه حوالي 10 أمتار و دخول القصر يتم عن طريق جسور متحركة للوصول إلى المدخلين الرئيسيين و هما " باب السلام " و "باب الخضراء" مع وجود باب سري يدعى " باب الغدر " يقال أنه وضع للنجدة و ضرب العدو المباغت و الباب تغلق ليلا بعد إخراج الغرباء و توضع المفاتيح عند السلطان لتفتح في الصباح .

و للقصر عدة مساجد للصلوات الخمس و تحفيظ القرآن و دراسة العلوم، و ساحات للجلوس و إقامة الأسواق الضيقة و تقام بها الاجتماعات لعملية التطوع لتسوية الشوارع و الأزوقة ، و يلاحظ في القصر أجزاء من الشوارع مسقفة للاتقاء بها من حر الشمس و البرد شتاء، و من هذه المساجد المسجد العتيق الموجود حاليا

بقصر مستاوة هو مسجد الإباضية الذي قام ببنائه أحد سلاطين بني جلاب و هو الشيخ إبراهيم بن محمد بن أحمد الجلابي سنة 1835م، و مسجد المالكية و هو إلى الجنوب الشرقي من المسجد الإباضي، و إلى الشرق و الجنوب تمتد مساحات غابات النخيل ... و إلى جانب قصر مستاوة توجد قصور أخرى لها نفس النمط المعماري أمثال قصر النزلة و قصر تبسبست و قصر الزاوية العابدية...الخ.

- الحياة الاقتصادية في عهد بني جلاب:

- الزراعة : أولى سلاطين بني جلاب عناية لغابات النخيل فسعوا إلى المزيد من غراستها و أضافوا أبارا ارتوازية و شقوا الخنادق لتصريف المياه الزائدة، و عند سقوط مدينة تقرت في يد الاستعمار كان حوالي 300 ألف نخلة تسقى بمياه 450 بئر تم حفرها بوسائل تقليدية.

- الصناعة: لعل من أهم الصناعات هي ما يدعى اليوم بالصناعات التقليدية و التي تتمثل موادها الأولية في الطين، مشتقات النخلة، الصوف، الوبر و الجلود، و غيرها ففي النسيج كانت النساء تتنافس في صناعة الملابس و الأغذية و من مشتقات النخيل تصنع أدوات عدة يستعملها الفلاح في منزله و يستعين بها على القيام بعمله من ذلك " المظلة، قفة ... الخ".

- التجارة: ومنها التجارة الداخلية التي كانت تقام في أسواق بداخل القصر في الساحات العامة بعد صلاة العصر حيث تباع الخضرة و الفواكه و غيرها. أما خارج القصر فكان يعقد السوق الكبير صباحا حيث يعرض فيه إلى جانب الخضرة و الفواكه، الحبوب و التمر و السمن و الصوف و الوبر...الخ، و في السوق العامة يوجد من الباعة من هم ليسوا من مدينة تقرت بخلاف سوق الساحات الداخلية و التبادل يتم بالمقايضة أو بواسطة النقود النحاسية تم تداولها في عهد بني جلاب.

أما التجارة الخارجية: ونظرا لكون المنطقة ممر عبور قوافل الحجاج، فهي أيضا منطقة تنقل القوافل التجارية و جزء من الطرق الصحراوية الرئيسية " تقرت- ورقلة " ليصل إلى جمهورية مالي، كما ترتبط سلطنة بني جلاب بالشمال مع الموانئ الجزائرية " الجزائر- بجاية- سكيكدة- مستغانم... و غيرها ".

4. التركيبة البشرية والاجتماعية لمنطقة وادي ريغ :

سكنت و تسكن منطقة وادي ريغ قبائل و أجناس كثيرة و متداخلة في أنسابها و أصولها جمعتهما ظروف الحياة و وحدتهما مميزات و تقاليد اجتماعية واحدة، و بهذا التمازج و الاختلاط في المقام و السكن و المصاهرة و المجاورة، أصبح من الصعب التمييز بين الأصول و الأنساب، و أكدت بعض المصادر التي تحدثت عن تاريخ المنطقة أن أصول سكان وادي ريغ ترجع إلى ثلاثة عناصر أساسية تولد عنها عنصر رابع و هذه العناصر هي: الرواغة، العرب، الزنوج، المولودون⁹.

من خلال الحياة الاجتماعية التي كانت سائدة بالمنطقة و النظام الذي كان يحكم السكان يمكن أن نحدد ملامح و سمات الطبقات الاجتماعية التي يتكون منها مجتمع المنطقة و المركز الاجتماعي الذي تحتله كل طبقة من الطبقات.

أ - الطبقة الحاكمة: تتشكل هذه الطبقة من الأعيان الذين يتولون الرئاسة في القصور و القرى و تتم توليتهم من طرف أمراء الزاب و السلاطين في العهود المتقدمة من طرف بايلك الشرق في العهد التركي أو الحاكم

العسكري بتزكية من شيخ العرب بن قانة في العهد الاستعماري، و تتميز هذه الطبقة في طريقة عيشها و هي تشمل الطبقة الأرستقراطية بأتم معنى الكلمة.

ب - الأشراف : و هم الذين ينتمون إلى الأسر و العائلات التي تدعي الانتماء إلى بيت النبوة و يزعم هؤلاء أنهم وفدوا إلى المنطقة من الساقية الحمراء و المغرب الأقصى مواطن الأشراف و مهجر إدريس الأول مؤسس دولة الأدارسة بالمغرب باعتبارهم من أهل البيت في نظر الأهالي و السكان هم حماة الدين فكسبوا الاحترام و التقدير فالكل كان يطلب ودهم و رضاهم، و التقرب منهم لنيل البركة و الفوز بدعائهم حتى ساد الإعتقاد أن هؤلاء لا يسألون عما يفعلون ،أما سبب تواجدهم بهذه المنطقة حسب الروايات و الأخبار الشفوية التي وضعوها و ذكرت بعض المصادر التاريخية أن وادي ريغ كان يمر بها الحجاج المغاربة و من مدينة تلمسان و قد تزايد عددهم و أصبحوا يشكلون طبقة متميزة لها شأن كبير و تأثيرها على سكان المنطقة، و يعد حفظ النسب أحد صفات العرب و الأشراف على الخصوص و هذا لا يمنع تواجد عائلات شريفة النسب من أخلاقها الشرف و العفة و العمل الصالح و أهم العائلات التي تنتهي إلى هذه الطبقة " أولاد السايح، الرواشدة، أولاد مبارك الصايم، أولاد يحي بلقاسم، السلطنية، أولاد نصر الله، أولاد سيدي بوبكر الشريف، أولاد سيدي عمران".

ج - طبقة الأغنياء: هذه الطبقة التي تملك العقارات من بساتين النخيل و دور السكن و هم أصحاب الحل و الربط في القرى و القصور و الأحياء، و تستمد هذه الطبقة قوتها من الجاه و المكانة المرموقة لدى السلطة الحاكمة، و يتميزون عن غيرهم من الطبقات بحسن التدبير و الدهاء و القدرة على تسخير اليد العاملة و الهيمنة على الأوضاع و تميزهم بالذكاء مما سخر لهم خدمة الناس فرادى و جماعات و مكانتهم لا تقع عن مكانة الحكام و يتصدرون المجالس و يمثلون أحياءهم و قراهم أمام المحاكم و المشايخ.

د - طبقة العبيد : هم الذين يتعاونهم من الأسواق أو يرثوهم عن آبائهم أو أهاليهم مثل ما يرثون المتع و الموال ،تعي هذه الطبقة على خدمة الأسر المملوكة لديهم حيث يقومون بطهي الطعام، تنظيف المساكن و خدمة الأولاد و الحريم.

- النظام الاجتماعي في منطقة وادي ريغ :

يتألف الإقليم من قصور تنتشر على طول الوادي، والقرى والقصور و المداشر تكون وحدة جغرافية اقتصادية و عمرانية و اجتماعية متشابهة تحكمها عادات و تقاليد و أعراف، فكل قصر أو مدينة أو قرية تضم داخلها مجموعة من السكان متقاربين بالجوار و المصاهرة و ربما النسب القريب ولذلك فإن كل قصر أو قرية عبارة عن وحدة إدارية مستقلة عن القصور الأخرى إلا فيما يخص الضرائب و الإتاوات التي تجبي إلى حاكم الإقليم و سلطانه الذي ينقلها بدوره إلى السلطة المهيمنة.

و بحكم النظام السائد فكل قصر له أملاكه من النخيل و مكانته الخاصة به و بنيانه المتجمع في كتلة واحدة على ربوة يحيط بها خندق واسع يليه سور بأربعة أبواب رئيسية بحيث تستطيع البلاد الدفاع عن نفسها و التحصن به و صد الغارات . و كل بلد يدير شؤونه و أموره شيخ البلد، و من مجموع القرى و المداشر و القصور تتكون المنطقة التي يشرف عليها أمير في العصور المتقدمة حتى العصر اليوسفي ثم تحول إلى سلطان أو شيخ في العهد التركي " عهد بني جلاب".

ووظيفة شيخ البلاد هي البث في الشؤون الاجتماعية ذات الطابع اليومي وفض المنازعات بين الفلاحين و الرعايا و التحكم في توزيع الأراضي و المياه و يمثل بلده في مجلس رجال الملاح بعاصمة الإقليم و يساعد الشيخ في مهامه اليومية الجماعية و يعتمد شيخ البلاد في فض النزعات و الخلافات على العرف المتوارث و عادة ما يكون حكم شيخ البلاد مطلقا خاصة إذا كان معين من طرف السلطة الحاكمة، و إذا كان معيننا من طرف الجماعة فيستمد سلطته من خلالها¹⁰.

و لقد حملت الطبيعة القاسية لمنطقة وادي ريغ أسلوب حياة الناس و ربطت بينهم عادات اجتماعية تترجم علاقتهم بالحياة و تحدد نظمهم الاجتماعية و ساهمت في تمسك أفراد المجتمع بنظام اجتماعي متماسك ، و تدور عادة هذه العادات حول مجموعة ممارسات منها التوزيع هذه الممارسة حكمها الطبيعة القاسية للصحراء التي تحتاج إلى المقاومة و العمل اللتان تحتجان إلى التعاون في بناء المساكن و حفر الخنادق و جني التمور و حصاد الزرع و تتطلب التوزيع تحضير كل الوسائل من صاحب العمل لتسهيل العملية في أقصر وقت ممكن و يمزج العمل الجماعي بممارسات أخرى كالمدايح و الذكر في وسط كل فرحة كما تمتد هذه العملية إلى القصور و المداشر التي تتعاون في البناء و الفلاحة و فض النزاعات أثناء هذه العملية و عادة ما يكون زمن التوزيع في فصل الصيف نظرا لارتفاع درجة الحرارة كما تعد التوزيع بمثابة مؤتمر جماعي و اقتصادي و سياسي يستعد له الجميع، و قد استمرت هذه العملية إلى غاية دخول الاستعمار الفرنسي الذي أفسد هذه العادة التي تراجعت مع مرور الوقت.

5. الحياة الثقافية في منطقة وادي ريغ:

وقد ارتبطت حياة الأفراد في منطقة وادي ريغ بالممارسة الدينية و العقائدية و قد اعتمد الناس في حياتهم الثقافية على تطبيق المعتقدات و العراف و خاصة في المناسبات الدينية و الاحتفالات التقليدية ، كزيارة الأضرحة و رجال الحضرة الذين يعتقدون أنهم أهل الولاية و الصلاح ، و هي ظاهرة من الظواهر التي تتعلق بالجانب الثقافي و الاجتماعي الشائعة بالإقليم فكل ضريح من الأضرحة المنتشرة عبر الإقليم وقت معلوم تشد إليه الرحال لزيارتهم و إقامة الطقوس من حوله و يجتمع فيها المتصوفة و الفقراء و الدراويش لإنشاد المدايح و الرقص و الألعاب الهلوانية و تقام فيها الذبائح .

و لم يقتصر النشاط الثقافي في المنطقة على هذا المجال بل ارتبط ارتباطا وثيقا بالأعياد و الاحتفالات الدينية حيث كان لشهر رمضان دورا هاما في تنشيط الحياة الثقافية بمجرد دخول هذا الشهر يبدأ الأفراد في تحضير المؤونة من مختلف المأكولات و الذخائر كما يتوب الناس عن الرذائل و في اليوم التاسع و العشرين من شهر شعبان يخرج الناس أفواجا و جماعات يتطلعون إلى رؤية الهلال فإذا ثبت الشهر يقبل الناس على المساجد للشروع في صلاة التراويح التي تتعدد في المساجد و المصليات و تقام حلقات الذكر و تستمر أيام شهر رمضان على هذه الوتيرة .

و لعل ارتباط الحياة الثقافية في إقليم وادي ريغ في الأعياد الدينية جعل منها منطقة ذات مكانة في جلب السكان و السياح من مختلف الأقطار، و يتعزز هذا الزخم الثقافي بالعادات و التقاليد التي تمارس خلال شهر محرم أين تنطلق المهرجانات المتنوعة تشمل الرقص، "الألعاب الهلوانية و التنكر بأزياء غريبة" يفعلون هذا تأسيسا بالشيعة الذين يجعلون من أيام عاشوراء تعبيرا عن حزنهم و سخطهم عن مقتل الحسين رضي الله

عنه و هذا ليس إذن علما أن الفاطميين حكموا هذه الديار و تواجد بها أتباعهم و كان لهم تأثيرهم الاجتماعي و العقائدي و في هذه الأيام العشرة تتوقف الأعمال فالرجال يتوقفون عن العمل في بساتينهم فلا يحراثون و لا يزرعون. أما النساء فيتوقفن عن النسيج والغزل و صنع الأواني اعتقادا منهن أن كل عمل يتم في هذه الأيام تنزع منه البركة و يصاب بالمرض و هذا الاعتقاد ما زال قائما إلى يومنا هذا.

وللاحتفال بالمولد النبوي وضعا مميزا بالمنطقة ، فبمجرد دخول شهر ربيع الأول يستبشر الناس بقدومه فيحيون لياليه بالأفراح ، فالرجال يتجمعون في المساجد على المدائح الدينية التي تمدح صاحب الرسالة و ينشدون البردة و النساء يزغردن و يغنين أما الأطفال فينتقلون بين المساجد و البيوت و يجلون في الشوارع يحملون الشموع و يلعبون المشاعل و يطوفوا تلاميذ الزاوية على الكتاتيب ينشدون الأناشيد و يجمعون الهدايا.

6. قصور وادي ريغ:

كما عرفت المنطقة الكثير من القصور على غرار ما فعله الرستميون في ورقلة الذين سكنوا قصر سدراتة و أهم القصور و القرى التي سكنها الرستميون نذكر:

1/ أنسيغة- ماريزو- فطناسة – تندلالت و ما يحيط بها من عمران.

2/ تمرنانت – توغلانت – توجين و سفاوة و ما يحيط بها من عمران.

3/ تماسين – تنسلي و ما يحيط بها من عمران.

ونظرا للدور الذي يلعبه القصر وكونه النواة الأولى للمدينة الصحراوية ، إذ يقع في الترتيب من حيث الأهمية العمرانية والوظائف في درجة أقل من المدينة التاريخية ، والقصور في وادي ريغ منذ نشأتها وتحولاتها كانت مكان سكن بالدرجة الأولى لفلاحي النخيل، ومنها القصور المجاورة للمدينة تقرت كالتزلة ، تبسبست، الزاوية العابدية، وللقصر تعريف عام وهو أنه مجموعة من السكنات الإدارية والسكنية المحصنة لتفادي هجوم الأعداء وتكون محصنة بأسوار وأبواب وأبراج المراقبة¹¹ والقصور الموجودة بالصحراء " وادي ريغ " تربط أجزاءها شبكة ممرات متداخلة ذات أشكال متعددة ترجع بالدرجة الأولى للطبعة المناخية للمنطقة، وهو عبارة عن نسيج يبدو ككتلة موحدة ومتجانسة تتوسط واحات النخيل تربط بين أجزائه شبكة ممرات تبدو معقدة تأخذ شكل شرايين.

ويمكن اعتبار نسيج القصر كوحدة متكاملة تتفتح على الوسط الخارجي بواسطة أبواب أحدها يستعمل للدخول والآخر للخروج كما نجد في القصر المسجد تليه الأسواق.

إلى جانب تميز المساكن بفنائها الداخلي " الحوش " ويتوجه نحو الداخل، كونه يملك وجهات صماء وبسيطة قليلة الفتحات على الخارج وبمواد البناء محلية ذات توصيل حراري ضعيف وغير مكلف¹² فالميزة الأولى لهؤلاء السكان بالصحراء في تنظيمهم للمجال وطرق استغلالهم للمحيط في شكل تجمعات توصف على طول الوديان في شكل سبخات، فالشكل العام الذي يأخذه كل تجمع مستقر في الصحراء عموما هو القصر الصحراوي والذي هو بالتعريف قرية تقليدية صحراوية¹³، وسنذكر بعض القصور الموجودة بوادي ريغ من بينها:

- قصر تماسين: يعود تأسيس القصر القديم إلى سنة 782م أي حوالي 159 هـ - حسب الرواة، ويعد القصر قلعة سياسية وثقافية حيث روعي في بنائه الطابع الاستراتيجي ، و يتوضع هذا القصر على ربوة يبلغ ارتفاعها حوالي 8 أمتار وطولها حوالي 380 متر، وتجدر الإشارة إلى أن القصر القديم كان محاطا بخندق يحميه من الاعتداء ، ويحيط به أيضا تدعيما للأمن والوقاية سور مبنى من جذور النخيل كأساسات وفوقها الطوب الترابي ، و يبلغ ارتفاعه حوالي 12 متر وتتخلله مداخل أربعة، مدخل رئيسي وثلاثة منها ثانوية للمدخل الرئيسي الذي كان من الجهة الجنوبية ناحية السوق، أما المداخل الأخرى فكان أحدها من الجهة الغربية " مدخل الخوخة " وكان يؤدي إلى سبا بين النخيل و الثاني يؤدي مباشرة إلى المسجد حيث يتمكن الغريب عن البلدة من الدخول إلى المسجد دون إزعاج الأهالي والمداخل الأخير يوجد من الجهة الشمالية الغربية للقصر، وهو من جهة القصبة "دار السلطان " وهي خاصة بالسلطان وحاشيته ، وبعض المرافق مثل دار العلماء، ويعتبر هذا القصر بمثابة النواة الأولى للمدينة، وبنمو المدينة أصبح يحتل مكانا وسطيا نوعا ما من النسيج على الرغم من غابات النخيل التي تحيط به، حيث نجده من الشمال حي البحور ومن الجنوب تخصيص الكدية، و يتوضع في عقدة الطريق الولائي رقم 309 حيث يحيط به من جميع النواحي.

وبصة عامة فما يميز التجمعات السكنية بوادي ريغ ، انها موجودة على طول الوادي ومنها القصر العتيق والمنطقة السياحية والتي تتميز بالانبساط مشكلة سهول تتخللها بعض التلال كموضع القصر و القمة الموجودة شرق البحيرة، وما عدا هذين الموضعين فإن المنطقة تتميز بانحدار ضعيف يمكن دمجها في فئة (0-3 %) وهي تطرح إشكالية الصرف الصحي في المنطقة مما يضطر إلى إقامة محطات دفع و رفع المياه، إضافة إلى هذا فإن المنطقة تتميز بغرس غابات النخيل الموجودة شمالا وجنوبا وغربا 14.

- قصر الزاوية العابدية :

تشير الروايات المتعددة أن هذا الحي الذي يدعى القصر العتيق، أنشئ بين القرنين السابع والثامن عشر على يد أحد الأولياء والمدعو " سيدي العابد " ويعد النواة الأولى بالبلدية وهناك عدة روايات تتكلم عن أصل هذا الرجل.

فهناك من يقول أنه جاء من (المسيلة) وهناك رواية أخرى تقول أنه قدم من (تيارت) وتمركز بهذه المنطقة ليبدأ ببناء أول نواة ألا وهو المسجد الذي بقي يحمل اسمه إلى يومنا هذا. وهناك رواية أخرى تقول أنه وبعد سنتين من قدوم سيدي العابد أتى رجل آخر عرف بالتقوى يدعى (سيدي لخضر) و الذي عمل بدوره على بناء نواة أخرى بالقرب من القصر العتيق والذي يقع (بلدية تبسبست) كما روى عن نفسه، واستوطن بالمنطقة مع من رافقوه لعدة سنوات ليبني لنفسه بعد ذلك مسجد بالقصر العتيق للزاوية العابدية، وقد هدم وأعيد ترميمه، و بعد هذه الفترة بدأ السكان بالاستقرار حول القصر أو المسجد وعلى الرغم من اختلاف أصولهم إلا أن العلاقة التي تربطهم كانت حسنة وخالية من الصراعات وقد مارس أغلبهم زراعة النخيل .

ويقع حي القصر العتيق شمال شرق الزاوية ، يطل على مركز البلدية يمتد الحي بمحاذاة مدرسة ابتدائية غربا وحي المنصور، وشمالا تحده غابات النخيل، أما جنوبا فتوجد بجانبه عدة مدارس و مقبرة وحي البدر ومتقنة وأيضا الحديقة العامة، ليمتد جنوب غرب وصولا إلى حي وادي ريغ إلى غاية منطقة النشاط الحرفي 15.

7. دوافع الاهتمام الفرنسي بمنطقة وادي ريغ :

- الدوافع السياسية: جاء الاهتمام بالصحراء مصاحبا للعدوان الفرنسي على الجزائر ومنفذا لقرارات مؤتمر اكس لاتشيل 1818، ولموقع الصحراء وأهميتها التجارية وارتباط حدودها بالدول الإفريقية، إضافة إلى التنافس الأوروبي الذي كان قائما حول ثروات القارة السمراء .

استهوت خيرات الصحراء المستعمرين وأسالت لعابهم، وأصبحت ركيزة أساسية في الإستراتيجية المستقبلية للاستعمار الفرنسي، ومن أجل أن تستكمل فرنسا تحقيق حلمها القديم الداعي إلى تكوين إمبراطورية استعمارية بدءا من شمال إفريقيا ومرورا بالصحراء الجزائرية إلى غرب القارة السمراء، خاصة وأنه كانت لفرنسا مستعمرات في إفريقيا الغربية لتجارة الرقيق في السينغال وغيره.

- أضف إلى ذلك أنه منذ سنة 1854 - وهي السنة التي تم فيها إخضاع منطقة تقرت وجوارها من طرف القوات الفرنسية الاستعمارية - أصبح نفوذ فرنسا قويا بهذه المستعمرات. -دراسة السكان والمكان وجمع مختلف المعلومات عن المنطقة خدمة للسياسة الاستعمارية التي انتهجتها فرنسا في ذلك الحين وهي السيطرة على الصحراء الجزائرية وتطبيقا للمقولة الشهيرة «يجب معرفة الناس للسيطرة عليهم وقيادتهم» وعليه فإن دراسة السكان قد استهدفت التغلغل إلى أعماق مجتمع المنطقة لمعرفة مكوناته ونقاط ضعفه ، حتى يسهل للفرنسيين التحكم في هذا المجتمع من الداخل ولإبعاد أية مقاومة من شأنها أن تعرقل المشاريع الاستعمارية الفرنسية بالمنطقة.

وعلى هذا الأساس عمل الفرنسيون على تقسيم الجزائريين بتشجيع الصراعات العرقية و الطائفية تطبيقا « لسياسة فرق تسد » ، وهكذا انطلقت سياسة التفريق بين الأعراس والعائلات :

إذ شجعوا فرحات بن سعيد من عائلة بوعكاز ضد شيخ العرب ابن قانة ، كما وسعوا من هوة الخلافات بين أمراء بني جلاب «سلاطين تقرت» حول السلطة ، خاصة بين عبد الرحمان بن عمر وابنه عبد القادر ضد سلمان بن علي ، كما حاولوا احتواء الطرق الصوفية مثل فرع الطريقة التجانية بتماسين لما لها من تأثير روحي على المجتمع المحلي ، إذ شجعوا الصراع بين سلاطين بني جلاب وشيخ الزاوية محمد العيد على السلطة الزمنية والروحية ، هذا الصراع الذي يعود منذ تأسيس فرع الزاوية التجانية بتماسين من طرف الشيخ الحاج علي الينبوعي عام 1220هـ/1805م.

-محاولة تفكيك المجتمع الجزائري وتقسيمه ، وذلك بفصل الصحراء عن الشمال وتكوين دولة مستقلة جديدة تضم كل سكان الصحراء ، ومنها يتم تفريغ الصحراء من سكانها وتجميعهم في ناحية حتى تسهل السيطرة عليهم سياسيا وعسكريا ، والتخلص من المقاومة الآتية من الجنوب الجزائري ، ثم العمل على عزل الشمال عن الجنوب تمهيدا لمشروع الفصل بينهما لاحقا، وفكرة تقسيم الصحراء يمكن إرجاعها إلى سنة 1844 عندما أصدر البرلمان الفرنسي قانونا ينص على توسيع منطقة الاحتلال نحو الجنوب. - الدوافع العسكرية : إن احتلال فرنسا للصحراء الجزائرية يدخل في حسابات وضعتها في برنامجها التوسعي الاستعماري والمتمثل في محاولة حصار تونس عسكريا واقتصاديا من ناحية الجنوب الشرقي بحكم التبادلات التجارية والعلاقات الاجتماعية بين منطقتي الجريد التونسي ووادي سوف تمهيدا لفرض الحماية عليها هذا

من جهة ، وحصار المغرب الأقصى من ناحية الجنوب الغربي الجزائري ، ثم بعد ذلك التمهيد لابتلاع موريطانيا والذي تم عام 1920م من جهة أخرى ، ومنها تحقيق الحلم الذي طالما راود أذهان الفرنسيين وهو السيطرة على منطقة الشمال الإفريقي.

-احتواء الثورات الشعبية والحركات التحررية في مستعمرات فرنسا الافريقية قصد جعل الصحراء الجزائرية القاعدة العسكرية التي تمون أوروبا في حالة أي اعتداء أجنبي ، والقاعدة السياسية التي تمارس منها فرنسا الضغوطات على مختلف الثورات في إفريقيا.

-منذ احتلال بسكرة سنة 1844 كانت فرنسا تتجه بأنظارها نحو تقرت باعتبارها أول مدينة كبيرة في الطريق إلى أعماق الجنوب ، وكانت لا ترتاح إلى المناطق الصحراوية ، إذ تنظر إليها على أنها بلاد غامضة لا أمان فيها فضلا عن مناخها الصعب ، أضف إلى ذلك أن حمليتي الأمير عبد القادر على عين ماضي في 1838 ، وعلى بسكرة في 1839 شكلتا في أعين الفرنسيين مؤشرا مقلقا على وجود حلفاء صحراويين للأمير ، لكون الثورات التي كانت تندلع في الشمال كانت تجد في الجنوب والواحات عند فشلها مركزا لتجديد المقاومة ، وعلى هذا الأساس كان لابد على الفرنسيين من إخضاع كل المناطق الصحراوية المتبقية. واستعدادا لمواجهة هذا الظرف قررت الحكومة الفرنسية القيام بإجراءات وعمليات توسعية سريعة وشديدة لتقبض قبضتها على الجنوب الجزائري حتى تضمن بسط نفوذها على كامل التراب الوطني وبالفعل بعدما تم القضاء على ثورة الحاج المقراني 1871 كانت الصحراء قد بلغتها التوسعات الاستعمارية

-السعي إلى تعزيز الوجود الاستعماري الفرنسي بالمنطقة ، لذلك عملت الحكومة الفرنسية بكل ما تملك من إمكانيات لإبعاد خطر منافسة بريطانيا في التوغل داخل الصحراء الجزائرية ، لاسيما بعدما راج في ذلك العهد محاولات التوسع الإنجليزية و الإسبانية و الألمانية في الصحراء بغية تكوين إمبراطوريات ، وعليه لجأت السلطات الفرنسية إلى إبرام اتفاق فرنسي . إنجليزي يوم 5 أوت 1890 يجعل كل أراضي الجنوب الجزائري مناطق نفوذ فرنسية

- الدوافع الاقتصادية : الاستحواذ على الثروات الطبيعية والمعدنية والطاقوية وتحقيق استثمار صناعي إلى أبعد الحدود في الصحراء الجزائرية اضافة الى ذلك استغلال الطرق التجارية الصحراوية للسيطرة على خيرات إفريقيا من جهة و استغلال الصحراء كسوق استهلاكية لمنتجات أوروبا من جهة أخرى

و هكذا ففي عام 1844 أصدر البرلمان الفرنسي قرارا يقضي بتقدم قواته نحو الجنوب ، و إنشاء مراكز عسكرية خاصة في المناطق الإستراتيجية الرئيسة ، تتحكم في مرور القوافل التجارية من جهة ، وتضمن لهم الأمن للمعمرين وتسمح لهم بالتصدي لمقاومة سكان الصحراء من جهة ثانية ، و منه بسط نفوذه على الشريط الواقع ما وراء الأطلس الصحراوي ، وتم احتلال ما بين 1844 و 1854 بسكرة و الجلفة و الاغواط و سعيدة و عين الصفراء ، ثم ورقلة وتقرت ووادي سوف ، واحتلت تونس أيضا ، وما إن حلت سنة 1911 حتى تمكن الفرنسيون من الدخول إلى كامل الصحراء .

8. بعض محطات التصدي للغزو الفرنسي بإقليم وادي ريغ:

عندما احتل الفرنسيون بسكرة في 1844 فرضوا على السلطان عبد الرحمن بن عمر الجلابي دفع غرامة مالية مقابل اعترافهم بسلطته على وادي ريغ ووادي سوف لتقوم بعدها حملة ضد حكم بني جلاب في عهد سليمان بن علي بقيادة الجنرال ديفو القادم من بوسعادة و القائد جيري القادم من الأغواط فتحالف سليمان مع الشريف بن عبد الله للتصدي له. و أثناء حكم سليمان بن علي الذي تحدى الفرنسيون و أبطل كل اتفاق معهم جهز له الفرنسيون قوة خرجت من بسكرة في 11 نوفمبر 1854 بقيادة الرائد "مارمي" Marmer، فخرج الشيخ سليمان بقرية المقارين و بعد مقاومة باسلة منه في 27 نوفمبر 1854 اضطر إلى التراجع و الاحتماء بسور المدينة و تم حصاره لعشرة أيام لتسقط مدينة تقرت و مشيخة بني جلاب في يد الفرنسيين بتاريخ 05 ديسمبر 1854.

بعدما تمكنت السلطات الاستعمارية من احتلال بقية الأقاليم الصحراوية النائية، شرعت في اتخاذ إجراءات تنظيمية لفرض الهيمنة المطلقة على الإقليم، و التحكم في الأوضاع، وقد صدر مرسوما مؤرخا في 31 ديسمبر 1902، يتضمن إنشاء الأقاليم العسكرية بالجنوب الجزائري، وبموجبه أصبحت تقرت منطقة من المناطق العسكرية.

ذكر تقرير فرنسي انه خلال منتصف شهر ماي 1945 انتشرت الأفكار الوطنية بسرعة كبيرة في منطقة وادي ريغ عن طريق أنصار حزب أحباب البيان والحرية، وتزايد عدد منخرطهم بشكل رهيب جدا خصوصا بعد الأحداث الدامية التي حدثت بمقاطعة قسنطينة والتي خلقت قلقا كبيرا، وذلك بعد زيارة وفد من اللجنة المركزية لحركة أحباب البيان والحرية لتقرت يوم 11 ماي 1945 واصفين لهم ماحدث في الشرق الجزائري، وعلى اثرها شهدت المنطقة أحداث واحتجاجات متعاقبة ومتتالية، وانتقلت عدوة المظاهرات إلى سكان المنطقة بسبب أحداث سطيف وما جوارها، وفي 13 ماي ازداد التوتر في العلاقات بين الأهالي والأوربيين، مما دفع بالسلطة الفرنسية إلى اتخاذ كل الاستعدادات والاحتياطات الوقائية لإحباط أية محاولة تمرد، حيث تم غلف مكاتب حركة أحباب البيان والحرية ووضعت عليه الاختام، وتم وضع مناضليها تحت الإقامة الجبرية بسجن فور فلاترس ولم يطلق سراحهم الا في شهر جوان 1945، والبعض الآخر سجن بثكنة تقرت، ثم تم تحويلهم الى وادي سوف، ولم يطلق سراحهم إلا في 17 نوفمبر 1945 بعدما وعدوا السلطة الاستعمارية بعدم ممارسة اي نشاط سياسي مستقبلا¹⁶

لقد نقلت الثورة التحريرية عملها السياسي والعسكري إلى الصحراء الجزائرية منذ غرة نوفمبر 1954م حسب شهادات بعض المجاهدين وإذا خصصنا وادي ريغ، فإن أغلب المراجع والمصادر خاصة شهادات المجاهدين الذين لازالوا على قيد الحياة، تتفق على أن النشاط الفعلي للثورة في المنطقة، كان ابتداءً من سنة 1955م، وبرز أكثر ابتداءً من سنة 1956م، لاسيما بعد إضافة منطقة الصحراء كولاية سادسة طبقا لمقررات مؤتمر الصومام، وهذا لا يختلف تقريبا مع الوثائق الأرشيفية التي اطلعنا عليها، والتي أكدت أن التنظيم الثوري لجبهة التحرير الوطني بمناطق الجنوب الجزائري كان منتشرا بقوة بين 1956م و1959م. و أول رد من طرف السلطات الاستعمارية على اندلاع الثورة التحريرية بالمنطقة، انها قامت في 5 نوفمبر 1954 بحل حزب حركة انتصار الحريات الديمقراطية، بحكم انه المتهم الوحيد وراء المساس بأمن الدولة،

وتبعه ذلك حملة اعتقالات في صفوف المناضلين من بينهم (جاء الله الأمين من جامعة، والعلمي الدراجي من المغير

وتذكر بعض التقارير أن الشهيد مصطفى بن بولعيد بعث بأحد ممثله – ولا نعلم من يكون- إلى مناطق الجنوب الشرقي طالبا منهم التريث وعدم القيام بأي عمل ثوري قد يلفت انتباه القوات الاستعمارية إلى أن تفرض الثورة التحريرية منطقتها ووجودها على أرض الميدان، لأن ارتكاب أية حماقة أو خطأ بهذه المناطق سيؤدي حتما إلى فرض طوق أمني على الحدود الجنوبية الشرقية، مما يتسبب في وقف الإمدادات والمساعدات الخارجية التي تأتي من الدول الشقيقة المجاورة، لكن ما هو مؤكد أن مصطفى بن بولعيد كان قد كلف المجاهد الطالب العربي بإجراء اتصالات بالجنوب الشرقي عبر واد سوف وتمنراست، وأخرى قام بها الشهيد سي الحواس والتي شملت بسكرة ووادي ريغ ، وورقلة وغرداية، وفي إطار جلب السلاح من الجنوب تمت في سنة 1947م عدة زيارات لقادة الثورة ومنهم: العربي بن مهيدي وسي الحواس للمنطقة لترتيب توريد السلاح.

• حسب بعض الشهادات الشفوية والمذكرات الشخصية لمناضلي الثورة المنطقة ، تذكر أن أولى الاتصالات بجهة التحرير الوطني كان سنة 1955 م ، وهو ما يؤكد المجاهد عمار حشية في قوله : "الموفدون الاوائل لجهة التحرير شرعوا في البحث عن الدعم لتنصيب الخلايا الاولى ، حيث تنقل سي الحواس من اجل مهامه الى تقرت وورقلة في ربيع 1955 اين اجري اتصالات مع وجهاء من الاحزاب الوطنية ومشايخ الزوايا التجانية والقادرية ، وفي رواية اخرى للمجاهدين ميعادي فخر الدين والمولدي بن احميدة تذكر بأن : « الطالب العربي بعث بمجموعة تتكون من احمد لمقدم وبلقاسم

نتيجة لهذه العملية العسكرية الفرنسية ضد مجاهدي المنطقة ، تفككت العديد من اللجان والخلايا المدنية لجهة التحرير الوطني، وشهد النشاط الثوري نوعا من الركود، غير أن هذا الأمر لم يستمر طويلا، إذ سرعان ما أعيد بلورة النشاط من جديد، لاسيما وأن هذا الأمر قد تزامن مع إعادة هيكلة الولاية السادسة ورسم حدودها مرة أخرى في أفريل 1958 م، فتم إرسال عدة بعثات جابت منطقة وادي ريغ، بهدف إعادة تشكيل خلايا المدنية، وإنشاء مراكز التجمع والعبور والاتصال، والقيام بعمليات عسكرية ضد الفرنسيين ومنشأاتهم الاقتصادية.

الخاتمة:

نظرا لان موضوع التاريخ الاجتماعي متشعب، حيث اثار ولا يزال نقاش ابستومولوجيا وتاريخيا بين العديد من التخصصات، وحاولنا تتبع الأصول الاجتماعية والاقتصادية و الجغرافية لإقليم وادي ريغ، ومحاولة التطرق لأهم الوقفات التي مرت بها المنطقة أثناء الغزو الفرنسي من خلال كتابات أساتذة التاريخ.

¹ Fouché, Leo, "V: Foundation of the Cape Colony, 1652–1708". In Walker, Eric Anderson (ed.). *The Cambridge History of the British Empire*. Vol. VIII: South Africa, Rhodesia and the Protectorates, 1936, Cambridge .

² Trautmann, W, The nomads of Algeria under French rule: a study of social and economic change. *Journal of historical geography*, 1989, 15(2), 126-138.

³ Basic publications are A. Bernard, N. Lacroix, L " ~volution du nomadisme en Algérie (Alger, Paris 1906); L. Lehuraux, Le nomadisme et la colonisation dans les Hauts plateaux de l'Algérie (Paris 1931), and R. Capot-Rey, Le Sahara l'ancien (Paris 1953)

⁴ عبد الحميد إبراهيم قادري، تقرت البهجة (قراءة تاريخية واجتماعية) مطبعة الاسكندر قسنطينة 2011، ص58

⁵ ابن خلدون: كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر، بيروت 1921 المجلد السابع ص96

⁶ ابن خلدون: ديوان المبتدأ و الخبر المجلد السابع – الجزء الثالث عشر- دار الكتاب اللبناني 1983، ص98.

⁷ - Etude De Modernisation De L'Agglomeration De Touggourt . Premiere Etape Analyse urbaine . IDENTIFICATION DES PROJETS.

⁸ فترة حكم بني جلاب بمنطقة وادي ريغ – الملتقى التاريخي الثالث – منشورات جمعية الوفاء للشهيد تقرت 1998، ص49.

⁹ - فترة حكم بني جلاب بمنطقة وادي ريغ – الملتقى التاريخي الثالث – منشورات جمعية الوفاء للشهيد تقرت 1998، المرجع السابق ص52.

¹⁰ عبد الحميد قادري، التعريف بوادي ريغ، منشورات جمعية الوفاء للشهيد بتقرت الامال للطباعة 1998، ص30.

¹¹ توفيق عبد الجواد، تاريخ العمارة والفنون الإسلامية، المطبعة الفنية الحديثة، القاهرة 1970، ص 137.

¹² أحمامة عبد القادر، بن علي صباح، مدينة تقرت، تنظيم المجال الحضري وأفاق التوسيع 2025، شهادة مهندس دولة في التهيئة الحضرية 2000-2001، ص 45.

¹³ - Nadir Marouf : « Lecture de l'espace oasien » sind bad, Paris 1980, P12

¹⁴ - Bureau d'études Architecture et techniques, Projet, P.D.A.U de commune de temacine phase 1 rapport d'orientation, Touggourt.

¹⁵ - Bureau d'études- pos ksar zaouia el ebedia- phase 1- analyse de l'état actuel.

¹⁶ <https://eljadidelyawmi.dz/2018/11/04/-الثورة-التحريرية-في-منطقة-وادي-ريغ->